دحض دعاوى مشركي قريش في إنكارهم لنبوة النبي صلى اللّه عليه وسلم في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

Dahd da’awi mushriki Quraish fi inkarahim li nubuwwat al-nabi sallallahu alayhi wa sallam fi al-Qur’an al-karim

م . د . حمودي يوسف حمود

ديوان الوقف السني

Researcher: Dr. Hamoudi Yousif Hamoud

Iraqi Sunni Affairs

Email: bodynona84@gmail.com

ملخص البحث :

عندما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة حيث ابتدأ دعوتنه فيهم، تصدى له مشركي قريش بالإنكار والتكذيب والسخرية . فتصدى القرن الكريم لهذه الادعاءات وردها بردود عقلية وعلمية وحتى تاريخية ؛ ليثبت لهم كذبهم بادعاءاتهم وان هذه الاعتراضات والادعاءات ليس المقصود منها عدم اقتناعهم بصدق النبوة وإنما هو الجدل والعناد ؛ بسبب اعتقادهم إن هذه الدعوة تهدد مكانتهم الدينية الاجتماعية ونفوذهم بين القبائل، فه لا يستطيعون التنازل عنها لأي سبب كان .

كلمات مفتاحية: (المشركين، قريش، النبوة، اعتراض، ردود)

Research Summary (English)

When the messenger of allah (peace be upon him) called the people of Meca and began his mission among them, the polytheists of Quraysh confronted him with denial, rejection, and mockery. The holy Qur’an responded to these claims with rational, scientific and even historical arguments, in order to prove the falsehood of their accusations. These objections and claims were not due to a genuine doubt about the truth of prophethood, but rather were driven by argument and stubbornness, because they believed that this call threatened their religious and social status and their influence among the tribes. Therefore, they were not willing to give it up for any reason,

Keywords: (al -mushrikeen, Quraysh, al-nubuwwah, I’tirad, rudood)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أما بعد ...

ابتدأت دعوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في أول الدعوة في السر، وما إن ظهرت إلى العلن حتى انبرى عتاة مشركي بمعارضة هذه الدعوة بشتى الوسائل من السخرية والتكذيب وصد الناس عنه والاضطهاد والعقوبات الجماعية، والمساومة والإغراء بالمال والجاه، وقد ذكر القرآن الكريم هذه المحاولات، بل وتصدى لها ودحض حجج المعارضين في آيات عدة .

ونحن في هذه الدراسة نتناول جانب واحد من هذه الاعتراضات وهو أحد أبرز محاور الصراع العقدي في الدعوة الإسلامية المبكرة، وهو اعتراض مشركي قريش على نبوة النبي محمد ﷺ، ونسلط الضوء على أساليب القرآن الكريم في نقض هذه الاعتراضات، التي تكشف عمق الخطاب القرآني في تثبيت الرسالة ونقض الشبهات . وبيان الحكمة في عرض هذه الأقوال، وارتباطها بسنن الدعوة والصراع العقدي .

لذلك حاولت في هذا البحث حصر أبرز الاعتراضات التي وجهها مشركو قريش حول نبوة محمد ﷺ، ثم تحليل الردود القرآنية التي نقضت هذه الشبهات . بإبراز منهج القرآن في معالجة الاعتراضات بأسلوب متنوع، واستنتاج الدروس التربوية والدعوية من هذه الردود .

وقد قسمن بحثي هذا إلى أربعة مباحث، ففي المبحث الأول: تطرقت إلى الإطار العام للدراسة بتعريفات بعض مفاهيم الدراسة (الشرك، الاعتراض، الجدل) وموقف قريش من الدعوة . وفي المبحث الثاني: تناولت طرق إنكارهم لاختصاصه بالنبوة وإنزال القرآن عليه. وفي المبحث الثالث: ادعاءهم باستطاعتهم إبطال معجزة القران الكريم . وفي المبحث الرابع والأخير، بينت الدوافع النفسية للإنكار.

الباحث

المبحث الأول: الإطار العام للبحث .

المطلب الأول: تعريف مفاهيم الدراسة: الشرك، الاعتراض، الجدل الديني .

١. الشِّرك لغة: اسم للشيء الذي يكون بين أكثر من واحد؛ بحيث لا ينفرد به أحدهم. والشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد . يُقال: أشرك فلانٌ بفلان إذا جعله شريكه.(ابن فارس . ١٩٧٩، مادة: شرك)، والشِّرْكَةُ والشَّرِكة سواء. يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر . (ابن منظور، ١٤١٤، مادة: شرك) .

ومن حيث الاصطلاح: اختلف العلماء في تعريف مصطلح الشرك الدين، ولكن هذه العبارات مكملة لبعضها . ويمكن تلخيصها بالتعريف الآتي: هو اتّخاذ شريكٍ أو نِدٍّ مع الله سبحانه وتعالى، بصرف شيءٍ من خصائص الله تعالى، من العبادة أو الصفات، لغيره، سواء كان ملكًا أو نبيًّا أو صنمًا. ويدل على هذا التعريف قوله تعالى : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(الشعراء:٩٧-٩٨)، وقد عرَّفه النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بتعريفٍ جامعٍ في جواب لمن سأله، أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال: (أَنْ تَجْعَلَ للَّهِ نِدًّا وَهْوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ) (البخاري، ٢٠١٢، ٦/ ٢٧٤).

٢. الاعتراض لغة: العين والراء والضاد أصلٌ يدل على القيام في طريق الشيء والمنع منه- يقال: اعترض فلانٌ طريق فلان. (ابن فارس . ١٩٧٩، مادة: عرض)، الاعتراض: أن يحول بينك وبين الشيء عارضٌ، أو أن يقف في طريقك مانع .(ابن منظور، ١٤١٤، مادة: عرض) .

ومن حيث الاصطلاح: فهو لا يختلف في تعريف عن اللغوي ويرد مصطلح (الاعتراض) في باب الإيمان بالرسل، وباب القضاء والقدر، وباب الاستدلال، وغيرها من الأبواب . وفي العلوم الشرعية: هو الاعتراض عبارة الكلام الذي يراد به ردُّ الموقف الشرعي وإفساد ما استدلّ به الغير أو قال به، بقصد الاحتجاج وعدم الموافقة على قول أو فعل بحجة عقلية أو جدلية، من غير تسليم بأصوله.(الجويني، والزركشي، ١٤١٤، ٧/ ٣٩٨) .

٣. الجدل الديني . الجدل لغة: من جَدَلَ الحبلَ، أي فتله . الجيم والدال واللام أصلٌ يدلُّ على شدة ومنازعة . من ذلك: الجدل في الخصومة. . والجدل: شدة الخصومة وقوة المناظرة. (ابن فارس، ابن منظور، ١٤١٤، مادة: جدل) .

ومن حيث الاصطلاح: الجدل: «هو إظهار المتنازعين مقتضى نظريتيهما على التدافع والتنافي بالعبارة،

أو ما يقوم مقامهما في الإشارة والدلالة». (الجويني، ١٩٧٩، ٢١).

أما الجدل الديني: «هو تردد الكلام بين مختلفين دينيا أو مذهبيا ؛ يريد كل منهما تصحيح دينه ومذهبه، وإبطال دين خصمه ومذهبه» . (الطوفي، ١٩٧٨، ٤) .

المطلب الثاني: نبذة تاريخية عن قريش والموقف من الرسالة المحمدية .

أولًا: من هم قريش؟ اختلف في أصل تسمية قريش، نذكر منها قول ابن هشام: إنما سميت قريش قريشًا من التقرش، والتقرش: التجارة والاكتساب وقال: والقروش: التجارة والاكتساب . وقال ابن إسحاق: ويقال: إنما سميت قريش قريشًا لتجمعها بعد تفرقها ويقال للتجمع: التقرش . (ابن هشام، ١٩٥٥، ١/ ٩٣) . وتعد قريش أكبر وأعظم قبائل العرب، وتنقسم قريش إلى قسمين، قريش البطاح: وهم يسيطرون على الحج ويحمون الحرم، ويغلب على حياتهم المدنية ويهيمنون على التجارة التي تمر بهم، لذا كانوا في غنى وثروة، وهم أولاد قصي بن كلاب، وبنو كعب بن لؤي . وينزلون وادي مكة . وقريش الظواهر: وقد نزلوا بظاهر مكة، وكانوا أقل تمدنًا من قريش البطاح ويعيشون على البداوة ومصدر رزقهم من إغارتهم على القوافل التجارية بسبب قلة أموالهم ولحاجتهم للطعام والكساء(البلاذري، ١٩٩٦، ١/ ٤٧) . ويعود نسب قريش إلى فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان . وتنقسم قريش إلى بطون متعددة، منها: بنو هاشم ومنهم النبي محمد ﷺ وبنو أمية، وبنو مخزوم، وبنو عبد الدار، وبنو عبد شمس، وغيرها . فهي قبيلة عربية عدنانية من نسل النضر بن كنانة، وتعد من أرفع قبائل العرب نسبًا ومكانة . كانت تسكن مكة المكرمة، وتتولى شؤون البيت الحرام . (ابن حزم ،١٩٦٢، ٤٦٤).

ثانيًا: مكانة قريش قبل الإسلام . كان لقريش مكانة ومنزلة كبيرة بين سائر قبائل العرب ؛ لأن لها امتيازات اجتماعية كبيرة على سائر القبائل قبل الإسلام، فهي تتمتع بنفوذ اقتصادي وسياسي نظرًا لسيادتها على مكة وبيت الله الحرام وديني كبير ؛ لامتلاكها تجارة واسعة، ورحلتين موسميتين شهيرتين: رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام (لإيلاف قريش). واجتماعيًا عُرفت بحفاظها على الأنساب والتحالفات، وحرصها على المظاهر القبلية والجاهلية (برو، ٢٠٠١، ١٧٤ -١٧٦).

ثالثًا: موقف قريش من الرسالة المحمدية .

كان موقف قريش من الدعوة الإسلامية وصاحبها في بداية أمرها هو الرفض واعتبرت دعوة الرسول محمد ﷺ تهديدًا لمكانتها الدينية والاقتصادية .

ومن أسباب هذا الرفض :

١- هو الخوف على النفوذ والسلطة التي كانوا يتمتعون بها، فكانت دعوة التوحيد تعني أن لا معبود ولا حكم إلا لله وحده وهذا يؤدي إلى زوال الأصنام، وبالتالي خسارتهم للهيبة .

٢- الاستعلاء الطبقي: بأن كيف يأتي نبي من بني هاشم « الفقراء» واعتبار أن البشر متساوون بالحقوق والواجبات لا يرضي سادة قريش .

٣- الجهل والتقليد حيث اعتبروا تقليدهم لما وجدوا عليه آباءهم هو الخيار الأفضل وأن ظهور دين جديد غير الذي توارثوه عن آبائهم وأجدادهم لا يمكن القبول به، فأخبر القرآن الكريم على لسانهم: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾(الزخرف: ٢٢)

وأما الأساليب التي اتخذوها ضد الدعوة :

١- السخرية والتكذيب: شملت هذه المحاولات التكذيب والسخرية، وصفوه بالساحر والمجنون والشاعر، ، بالإضافة إلى محاولات المساومة ووقف الدعوة.﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر:٦) وقال تعالى:﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص:٤) .

٢- الاضطهاد: بتعذيب أتباعه واضطهاد للمسلمين وطردوا وضعّفوا المؤمنين، خاصة الذين كانوا من غير القبائل الكبرى.

٣- العقوبات الاجتماعية: مثل الحصار في شعب بني هاشم.

٤- المساومات: فعندما فشلت السابقة حاولوا تقديم إغراءات للرسول صلى الله عليه وسلم بالمال والجاه عروض أخرى للنبي ﷺ من مال، ونساء، وملك ليتوقف عن دعوته .

المبحث الثاني: إنكار اختصاصه عليه الصلاة والسلام بإنزال القرآن عليه.

المطلب الأول: كونه بشرا .

ذكرنا في المبحث الأول ما قام به مشركي قريش أساليب في اعتراضهم على نبوة النبي محمد ﷺ من سخرية وتكذيب. ونذكر هنا بعض اعتراضات مشركي قريش على النبي محمد ﷺ بطعنهم لبشريته.

يقول تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ٧) .

فالآية الكريمة تخبر عن اعتراض مشركي قريش على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ؛ والسبب الذي

أوردوه هنا هو أنه بشر مثلهم يأكل للطعام، وفيه استهانة وتهكم . فاعتبروا أن هذه الصفة هي أمر عادي، بينما الرسول يجب أن يكون متميزًا عن الناس العاديين بصفات خارقة، مثل عدم الحاجة إلى الطعام .فليس لديه « بزعمهم» ما يوجب اختصاصه بالرسالة واتباعهم له ؛ لأنه مشابه لهم فيما يفعلونه من المشي في الأسواق للحاجات، ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ وفي الإشارة هنا تصغير لشأن المشار إليه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسموه رسولا استهزاء وسخرية (الشوكاني، ١٤١٤، ٤/٧٣) .

واعتبروا أن المشي في الأسواق لطلب الرزق أمر ينافي الرسالة، حيث يتوقعون أن الرسول يجب أن يكون غنيًا ولا يحتاج السعي لكسب الرزق، وأكل الطعام وما يلزم عنه من اللوازم وتساءلوا عن سبب عدم إنزال ملك مع الرسول ليصدقه ويكون نذيرًا له، فاقترحوا بعض الاقتراحات الباطلة كأن يؤيد بملك من السماء يكون رسولا معه معتبرين أن هذا من شأن الرسول « لو كان صادقًا في رسالته «، أو يكون له من الدنيا ما ليس لهم بأن ينزل الله عليه كنزا، أو يجعل له بستانا يأكل منه فلا يحتاج إلى التقلب في الأسواق لطلب المعاش. قال صاحب الكشاف: « كأنهم قالوا: ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾(الشعراء: ٢٧)، أي: إنّ صحّ أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا يَأْكُلُ الطَّعامَ كما نأكل، ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد، يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش . ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا إلى. اقتراح أن يكون إنسانا معه ملك، حتى يتساندا في الإنذار والتخويف (الزمخشري، ١٩٨٧، ٣/٢٦٥) .

فرد الله تعالى عندما اعترض المشركون على بشرية النبي ﷺ بأن هذه سنة الرسل فقال عز من قائل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٠) . قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ... الآية هذا جواب عن قولهم:﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾(الفرقان: ٧) . أي: هذه عادة مستمرة من الله تعالى في كل رسله فلا وجه لهذا الطعن(ابن عادل، ١٩٩٨، ١٤ /٥٠٢) .

وردا على اعتراض المشركين أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله:﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، (الأنعام: ٥٠) قال صاحب الانتصاف: إنما وردت الآية رداً على الكفار في قولهم بأنه بشر وذلك شأن البشر، ولم يدع أنه ملك حتى يتعجب من أكله للطعام، وحينئذ لا يلزم منها تفضيل الملائكة على الأنبياء ؛ لأنه لا خلاف أن الأنبياء يأكلون الطعام، وأن الملائكة ليسوا كذلك، وأنه لا يملك خزائن الله تعالى حتى يأتيهم بكنز منها على وفق مقترحهم، ولا قال لهم ذلك حتى يقام عليه الحجة به (ابن المنير، ١٩٨٧، ٢/ ٢٥) .

فالغاية من الرسالة، وقصورًا مشيدة، ولا خزائن الأرض ومفاتيحها، بل الغاية هي الهداية والتقوى. وكون الرسول بشر مثلهم، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، هذا لا ينافي رسالته، بل هو من مقتضيات البشرية. فلو شاء لجعل له جنات تجري من تحتها الأنهار.

ويذكر القرآن الكريم بعضا من اعتراضهم بقوله تعالى:﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾(الإسراء: ٩٤) هذا الاعتراض يكشف عن تعنت المشركين وعدم رغبتهم في الإيمان بالحق مهما جاءهم من أدلة . وهنا يذكر الله تعالى استغراب المشركون من كيف يرسل الله بشراً رسولاً إليهم، بدلاً من أن يرسل ملكاً. « يقول تعالى ذكره: وما منع يا محمد مشركي قومك الإيمان بالله وبما جئتهم به من الحق، ﴿ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾، يقول: إذ جاءهم البيان من عند الله بحقيقة ما تدعوهم وصحة ما جئتهم به، إلا قولهم جهلا منهم (الطبري، ٢٠٠١، ١٥ / ٩١) . فقد رأوا أن الرسول يجب أن يكون متميزًا عنهم في الخلق والصفات، وليس مجرد بشر يأكل ويشرب . فزعموا بان الله لو كان يريد هدايتهم لبعث إليهم ملكًا، وهذا يعكس استخفافهم بالرسالة التي جاء بها الرسول . واستخدموا هذا الاعتراض كذريعة لرفض الإيمان بالرسالة، معتقدين أن الله لا يبعث بشراً رسولاً. ففاتهم أن بعثة بشر رسولًا من حكمته تعالى، حيث يكون قدوة للناس في التعامل مع الحياة والعبادة . وأن الرسالة هي الأهم، وليست طبيعة الرسول . يقول الرازي في تفسيره: « وتقرير هذا الجواب أن بتقدير أن يبعث الله ملكا رسولا إلى الخلق فالخلق إنما يؤمنون بكونه رسولا من عند الله لأجل قيام المعجز الدال على صدقه وذلك المعجز هو الذي يهديهم إلى معرفة ذلك الملك في ادعاء رسالة الله تعالى فالمراد من قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ هو المعجز فقط فهذا المعجز سواء ظهر على يد الملك أو على يد البشر وجب الإقرار برسالته فثبت أن يكون قولهم بأن الرسول لا بد وأن يكون من الملائكة تحكما فاسدا وتعنتا باطلا» . (الرازي، ١٤٢٠، ٢١/ ٤١٠) .

وينبه الله عز وجل أن الحكمة من إرسال الرسل من البشر من جنسهم، هي لطفه ورحمته بعباده . فلو

أرسل ملكا إلى الآدميين، لم يقدروا أن يروه على الهيئة التي خلق عليها . قال ابن عباس: لو رأوا الملك على صورته لماتوا إذ لا يطيقون رؤيته ؛ لأنه لو كان ملكا لأدى اختلاف الجنس إلى تنافر الطبع (القرطبي ٦/٣٩٣)، وقد رد القرآن على اقتراحهم هذا في قولهم:﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾ (الأنعام :٨)، فقال: ﴿ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ . ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾، (آل عمران: ١٦٤) .

وقوله تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ﴾ (يونس: ٢) .

في هذه الآية يذكر الله تعالى استغراب وعجب المشركين ورفضهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بدعوى بشريته وأن يوحي الله إلى بشر، وأن يكون رجلا ليس بعظيم من عظمائهم، يقول ابن عادل: « التعجب: حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة، وسبب نزول هذه الآية: أن الله تعالى لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا، تعجب كفار قريش وقالوا: إن الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا، فأنكر الله عليهم ذلك التعجب، أما بيان تعجبهم من تخصيص محمد بالرسالة فمن وجوه :

الأول: قوله تعالى:﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾ (ص: ٤) إلى قوله:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ ﴾ (ص: ٥) .

والثاني: أن أهل مكة كانوا يقولون: إن الله تعالى ما وجد رسولا إلى خلقه إلا يتيم أبي طالب .

والثالث: أنهم قالوا: ﴿ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ﴾(الزخرف: ٣١) ؛ فأنكر الله عليهم هذا التعجب بقوله ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ﴾ فلفظه استفهام ومعناه الإنكار ؛ لأن يكون ذلك عجبا، والمراد بـ﴿ ٱلنَّاسَ﴾ : أهل مكة، والألف فيه للتوبيخ. (ابن عادل، ١٩٩٨، ١٠/ ٢٥٤) .

فقالوا: العجب كل العجب أنّ الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبى طالب !؟ فكونه يتيما أو فقيرا، لا يمنع من كان جامعا لخصال الخير والشرف ما لا يجمعه غيره، وبالغا في كمال الصفات إلى حد يقصر عنه من كان غنيا، فقد كان له قبل أن يصطفيه الله بإرساله من خصال الكمال عند قريش، حتى كانوا يسمونه الصادق الأمين .

ويذكر الطنطاوي قائلا: « أبلغ الجهل وسوء التفكير بمشركي مكة ومن على شاكلتهم، أن كان إيحاؤنا

إلى رجل منهم يعرفهم ويعرفونه لكي يبلغهم الدين الحق، أمرا عجبا، يدعوهم إلى الدهشة والاستهزاء بالموحى إليه صلى الله عليه وسلم حتى لكأن النبوة في زعمهم تتنافى مع البشرية . إن الذي يدعو إلى العجب حقا هو ما تعجبوا منه ؛ لأن الله عز وجل اقتضت حكمته أن يجعل رسله إلى الناس من البشر؛ لأن كل جنس يأنس لجنسه، وينفر من غيره، وهو أعلم حيث يجعل رسالته (طنطاوي، ١٩٩٨، ١٨/٧).

فهذه الآيات وأمثالها تدل على أن إرسال الله للرسل والأنبياء من جنس البشر والناس، لطف من الله ورحمة بعباده ونعمة منه تستحق الشكر، يقول تعالى:﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (آل عمران: ١٦٤) ليفقهوا منه وليتمكنوا من مخاطبته ومكالمته، فلأنكم بشرا بعثنا فيكم رسلا بشرا منكم ؛ لطفا منا ورحمة، وهذا لا يستوجب منكم أن تتعجبوا من بعثة الرسل بشرا، أو تستبعدوا أن تكون الرسالة في البشر، أو أن يكون هداكم على يد بشر مثلكم.

ورد القرآن على شبهة هؤلاء الأقوام المرسل إليهم أن الرسل – وإن كانوا في الحقيقة بشرا مثل من أرسلوا إليهم – فإن الله تعالى قد اصطفاهم من دون الناس بالنبوة والتوفيق، والحكمة، والعلم، والمعرفة، والهداية، فكان رد الرسل على أقوامهم أن قالوا:﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ (إبراهيم: ١١) . أي: أن الله تعالى يتفضل عليه بالنبوة والرسالة، فقد جعل هذا نبيا وخصه بالرسالة، وهذا ملكا وخصه بالدنيا، وهذا فقير وحرمه الدنيا ليختبر الفقير بصبره على ما حرم، والغني والملك بصبره على ما أعطي الرسول من الكرامة ؛ فقال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ (الفرقان: ٢٠).

ومن ردود القرآن على المشركين أيضا حين أنكروا رسالة النبي صلى الله عليه وسلم كونه بشرا، أن الله ما أرسل إلى الأمم الماضية إلا رجالا آدميين، فليسألوا أهل الذكر من مؤمني أهل الكتاب فسوف يخبرونكم أن جميع الأنبياء كانوا من البشر، فقال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(الأنبياء: ٧) . فلم يجعلهم محمد صلى الله عليه وسلم خارجين عن صفات وطباع البشر بحيث لا يحتاجون إلى طعام وشراب، وما كانوا خالدين لا يموتون، فأعقب سبحانه وتعالى بقوله:﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨) . فالرسالة لا تستلزم الخلود أو ترك الطعام . ولو نقله من صورة

الملائكة إلى مثل صورتهم ليأنسوا به ويسكنوا إليه لقالوا: لست ملكا وإنما أنت بشر فلا نؤمن بك، وقد يقولون: هذا ساحر مثلك. قال تعالى:﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ (الأنعام: ٩) . وينتهي القرآن من ذلك إلى إبطال حجة الأمم المكذبين ؛ إذ ما من رسول إلا كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، فليس محمد صلى الله عليه وسلم بدعا من الرسل قبله .

المطلب الثاني: اتهامه باختلاق القران .

﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان: ٥):

اتُهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم باختلاق القرآن من قبل مشركي قريش لدعوته، فاتهموه بالسحر والجنون أو الكهانة أو الافتراء . فرد القرآن الكريم على هذه الاتهامات وأبطلها بأساليب مختلفة، أولها: إظهار تناقض هذه الاتهامات مع صفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، وثانيها: بيان أن القرآن ليس من الشعر ولا من جنسه قال تعالى:﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ (يس: ٦٩)، أو إنه أضغاث أحلام وقال أيضا:﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٥)، وثالثها: أن القرآن الكريم تحدى العرب في فصاحتهم وبلاغتهم فلم يستطيعوا. يأتوا بآية واحدة مثله فالرسول صلى الله عليه وسلم تحداهم بكل القرآن، وتارة بعشر سور، وتارة بسورة واحدة، وتارة بحديث واحد، وعجزوا عن المعارضة، وذلك يدل على كونه معجزا فقال:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (البقرة: ٢٣). رابعها: أنه تعالى حكى هذه الشبهة بعينها في آية أخرى وهو قوله:﴿ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان: ٥)، وأبطلها بقوله﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الفرقان: ٦) ومعناه أن القرآن مشتمل على الإخبار عن الغيوب، وذلك لا يتأتى إلا ممن يكون عالما بأسرار السماوات والأرض (الرازي، ١٤٢٠، ٢٠ / ١٩٨).

فهذا الاتهام له بالكذب مع أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان معروفًا عندهم بالصدق والأمانة قبل البعثة، ولم يشهد له بالكذب قط، فاتهامه بالكذب يناقض سيرته وأخلاقه .

وفي اعتراضهم في موضع آخر يقول تعالى:﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ (النحل: ١٠٣) .

اتهم المشركون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأنه يتعلم القرآن من بشر، زاعمين أن هذا الشخص

الذي يعلمه هو أعجمي . فيقول تعالى ذكره: ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون – جهلا منهم – إنما يعلم محمدا هذا الذي يتلوه، بشر من بنى آدم وما هو من عند الله. ورد القرآن الكريم على هذه الفرية في سورة النحل بقوله تعالى:﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾. وتهدف هذه الآية إلى دحض زعمهم بأن الرسول يتلقى العلم من شخص أعجمي، مؤكدةً على أن لغة هذا القرآن لغة عربية في أعلى درجات البلاغة والفصاحة، فقد أعجزكم بفصاحته وبلاغته، وأن لغة هذا الإنسان الذي زعمتم أنه يعلم الرسول صلى الله عليه لسانه أعجمي، وتحداكم وأنتم أهل اللسن والبيان أن تأتوا بسورة من مثله . (الرازي، ١٤٢٠، ١٤/ ٣٦٤) . والمعنى: لقد كذبتم كذبا شنيعا صريحا، حيث زعمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه القرآن بشر .

واختلف المفسرون في من هو الشخص الأعجمي فقيل: هو سلمان الفارسي، وقيل هو يعيش أو عائش مولى بني الحضرمي، وهو رومي نصراني أو يهودي .

والمراد باللسان هنا: الكلام الذي يتكلم به الشخص، واللغة التي ينطق بها . وقوله:﴿ يُلۡحِدُونَ﴾ من الإلحاد بمعنى الميل . يقال لحد وألحد، إذا مال عن القصد، وسمي الملحد بذلك ؛ لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها . والأعجمي: نسبة إلى الأعجم: وهو الذي لا يفصح في كلامه سواء أكان من العرب أم من العجم . فخبروني بربكم، من أين للأعجمي أن يذوق بلاغة هذا التنزيل وما حواه من العلوم، فضلا عن أن ينطق به، فضلا عن أن يكون معلما له (طنطاوي، ١٩٩٨، ٨/ ٢٣٩) .

المطلب الثالث: الاعتراض على عدم وجود آيات مادية ملموسة:

لما ذكر تعالى إنعامه على نبيه صلى الله عليه وسلم بالنبوة بإنزال وحيه عليه، وأنه تعالى أعطاه من قوة الدليل على نبوته وهو القرآن، الباقي بقاء الدهر الذي عجز العالم عن الإتيان بمثله، وأنه من أكبر النعم والفضل، ورفع له قدرا به في الدنيا والآخرة . فعجز فصحاء اللسان وبلغاؤهم الذي نزل به عليهم عن الإتيان بسورة واحدة مثله، فهم أعجز عن أن يأتوا بمثل جميعه، ولو تعاون الثقلان عليه لا يأتون بمثله، ويحتمل أن تكون الملائكة مندرجين تحت لفظ الجن ؛ لأنه قد يطلق عليهم هذا الاسم كقوله﴿ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبًا﴾ (الصافات: ١٥٨) . ويحتمل أن يكون ذكر الجن هنا ؛ وأنه تعالى لما تحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن فتبين عجزهم عن ذلك وإعجازه، أخذوا يتعللون باقتراح آيات فعل الحائر المبهوت (أبو حيان، ٢٠٠٠، ٧/ ١٠٨).

قال تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾ (الإسراء: ٩٠)

. ومناسبة هذه الآية لما قبلها بعد أن تحدى الله سبحانه وتعالى المشركين بمعجزة القرآن وعجزوا عن الإتيان بمثله أرادوا صرف القضية إلى موضوع آخر، وهو عدم وجود آيات مادية ملموسة، أي: معجزات مادية مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فطالبوه بآيات حسية كالتي جاء بها الأنبياء السابقون، مثل تفجير الينابيع، إذ طالبوا المشركون برؤية عَين ماء تنفجر من أرض مكة القاحلة، أو تحويل الصفا إلى ذهب، أو أن تلتحم الشمس بالقمر، أو تحويل العصا إلى حية تسعى وقتل اثنتين منهما. أو إحياء الموتى، أو نزول الملائكة، وغير ذلك من الأمور الحسية .

وكانوا يرون أن الأنبياء السابقين جاءوا بآيات مادية محسوسة، فهم يعلمون أن الله فجّر الماء للنبي موسى عليه السلام، وأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يأت بمثلها فأرادوا معجزة مشابهة . وأرادوا تحويل مسار الدعوة فهم لا يريدون تصديق الرسالة ولا قبول التوحيد، وإنما يُلحقون النبي ﷺ بمجال التحدي المادي، أي: أنت ساحر، فأرنا ما تفعله من خوارق . فهو تشكيك مبطّن فهم لم يقولوا: إن فجّرت لنا نبعاً صدّقناك، وإنما قالوا:﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ فأسلوبهم أسلوب اشتراط متكبّر لا يهدف للإيمان، بل للتهرب منه. ولم يكن إلا عنادًا ومكابرة، وليس بحثًا عن الحق، بدليل أنهم كانوا يعاندون حتى بعد أن يروا الآيات . هذا من قبيل اقتراح الآيات تعنّتًا، وقد عُرف أن الأقوام السابقة لما طلبوا مثل هذه الآيات ثم كفروا بها نزل بهم العذاب، (ابن كثير، ١٩٩٩، ١/ ٢٧٩) .

وقال تعالى: ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا﴾ (الإسراء: ٩١) . ثم أخذ المشركون هنا يرفعون سقف الطلبات ؛ فليس فقط ينبوع ماء، بل طلبوا أن تكون له ﷺ بستان كامل فيه النخيل والعنب،﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ . أي: بستان ضخم دائم الخضرة، وتتدفق الأنهار خلاله، ﴿ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ ﴾ وهما رمزان للغنى والترف في البيئة المكية، ومعه: ﴿ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ أي: ماء غزير يتدفق، بأرضنا هذه التي نحن بها ﴿ خِلَٰلَهَا ﴾ يعنى: خلال النخيل والكروم. ويعنى بقوله : ﴿ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا﴾ بينها في أصولها، تفجيرا وهو مظهر من مظاهر الحياة الرغيدة التي كانوا يرون أن النبي لا يملكها وكأنهم يقولون: إن كنت نبيًا، فلماذا لا تكون ثريًا ومعك حدائق غنّاء ومعجزات زراعية ؟ قول القرطبي: يريدون أن يروا نعمة دنيوية كبرى كدليل على النبوة، وهذا من الجهل ؛ لأن النبوة ليست مقرونة بالثروة . (الطبري، ٢٠٠١، ١٥ / ٧٩) . فقالوا: كيف تكون نبياً وأنت فقير لا تملك جنة ولا مالًا؟ وهذا الطلب يعبر عن مادّية التفكير فهم يقيسون النبوة بالمال

والرفاه، ثم الخلط بين النبوة والملك وكأنهم يقولون: لو كنت نبياً، لكان لك ملك كالملوك والقصد من ذلك التشويش على البسطاء فأرادوا أن يربكوا الناس بمعنى: أنظروا إلى نبيكم لا يملك شيئاً، ونحن نُطالب بالمُعجزات فلا يستجيب .(ابن عاشور، ١٩٨٤، ١٥/٢٠٨) .

وقال أيضا :﴿ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾ (الإسراء: ٩٢) . هذا أعنف مطلب ؛ لأنهم طلبوا منه أن يُسقط السماء عليهم قطعًا مطلب بالعذاب فيه استهزاء مبطّن وسخرية ظاهرة .﴿ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ﴾ . فيه وجوه . الأول: قال عكرمة: كما زعمت يا محمد أنك نبي فأسقط السماء علينا . والثاني: قال آخرون: كما زعمت أن ربك إن شاء فعل . الثالث: يمكن أن يكون المراد ما ذكره الله تعالى في هذه السورة في قوله: ﴿ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ﴾)الإسراء: ٦٨)، فقيل: اجعل السماء قطعا متفرقة كالحاصب وأسقطها علينا.(الرازي، ١٤٢٠، ٢١/٤٠٨) .﴿ كِسَفًا﴾ . أي: قطعاً من العذاب . قال الطبري: وذلك أن الكسف في كلام العرب جمع كسفة، وهو جمع الكثير من العدد، فحكى عن العرب سماعا: أعطني كسفة من هذا الثوب . أي: قطعة منه . يقال منه: جاءنا بثريد كسف . أي: قطع خبز (الطبري، ٢٠٠١، ١٥/٨٠) . كأنهم يقولون: أين العذاب الذي تهددنا به ؟ أسقطه لنرى ! وهو منطق المكابرة والتهكّم، لا طلب هداية . نفس ما قاله فرعون: ﴿ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾)الشعراء: ١٨٧)﴿ أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾ ، اختلف المفسرون في معنى﴿ قَبِيلًا ﴾ فقيل معناه: معاينة، قاله قتادة وابن جريج، واختاره أبو علي الفارسي . وقيل: معناه كفيلا، قاله الضحاك، وقيل: شهيدا، قاله مقاتل، وقيل: هو جمع القبيلة، أي: تأتي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة، قاله مجاهد وعطاء، وقيل: ضمنا، وقيل: مقابلا كالعشير والمعاشر . (الشوكاني، ١٤١٤، ٣/٣٠٦) .، أي: أن يُحضر الله جلّ جلاله بنفسه أمامهم مشافهة، ومعه ملائكته حتى يقتنعوا. وهذا الطلب فيه أمران وهما :

١ – تجاوز لحدود الأدب مع الله، بل هو وقاحة فكرية .

٢– المطالبة برؤية الله رؤية عينية، وهو شبيه بمطلب بني إسرائيل: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة: ٥٥).

مما يعني أن القوم لا يبحثون عن دليل، بل يطلبون المستحيل للتهرّب من التصديق .

وقوله في نفس السورة:﴿ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٌ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا

﴿ (الإسراء: ٩٣) . طلبوا أن يكون ﴿ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾، أي: بيت فخم من ذهب، « قال مجاهد: كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيت في قراءة عبد الله: أو يكون لك بيت من ذهب قال الزجاج: الزخرف الزينة يدل عليه قوله تعالى﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ (يونس: ٢٤) . أي: أخذت كمال زينتها ولا شيء في تحسين البيت وتزيينه كالذهب . (الرازي، ١٤٢٠، ٢١/ ٤٠٩) . أي: نحن لا ننقاد لك مع هذا الفقر الذي نرى . وهذا استكمال لفكرة أنهم يرون أن النبي يجب أن يكون ثرياً دنيوياً .

أو﴿ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ . وهو طلب معجزة كبرى، أن يصعد إلى السماء بجسده إلى السماء . يقال: رقى فلان في السلم يرقى رقيا ورقيا . أي: صعد﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ وصعودك إليها مع مشاهدتنا لذلك﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ ونفهم ما فيه، أي: يكون هذا الكتاب بلغتنا التي نفهمها وبأسلوب مخاطباتنا، وفيه ما يدل دلالة قاطعة على أنك رسول من عند الله تعالى، وما يدعونا إلى الإيمان بك . أي: كل واحد منا يجب أن يصله كتاب من عند الله باسمه موقّعاً من السماء. (طنطاوي، ١٩٩٨، ٨/ ٤٣٠) وكأنهم يقولون: لا نقبل إلا بالطريقة التي نختارها ؛ لأنهم لا يريدون معجزة لإثبات النبوة، بل يطلبون معجزات مادية لكي لا يؤمنوا بحجة عدم تحقق الشروط .

ثم ختم سبحانه وتعالى هذه الآيات، بأن أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يرد عليهم بما يخرس ألسنتهم، فقال﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٣) .

– الرد يحمل معاني: تنزيه الله عن العبث بإرسال معجزات لمن لا يُريد الحق ؛ لأن كلمة سبحان للتنزيه عما لا ينبغي، وقوله سبحان ربي تنزيه لله تعالى عن شيء لا يليق به، أو نسب إليه مما تقدم ذكره . فالنبي ﷺ ليس مُلزماً بإتيان معجزات وفق أهوائهم . ومرادكم من هذا الاقتراح طلب الإتيان من عند الرسول بهذه الأشياء أو الطلب من الله تعالى إظهارها على يديه لتدل على كونه رسولا حقا . ولأنه بشر والبشر لا قدرة له على هذه الأشياء ؛ ولأنه بشرٌ مرسل، قد أتاهم بمعجزته الدائمة هي القرآن الكريم، المعجزة العقلية والبيانية الخالدة . فأرادوا أن يجعلوا تصديقه مشروطًا بمعجزات غير لازمة أصلاً، والمقصد تكذيبه وليس البحث عن الحق (الرازي، ١٤٢٠، ٢١/ ٤١٠).

قال ابن عاشور: كان اقتراحهم اقتراح ملاجة وعناد فعبّر القرآن عن هذه المطالب كأنها حجج ظاهرها طلب دليل، وباطنها صد عن الإيمان . فأمره الله بأن يجيبهم بما يدل على التعجب من كلامهم بكلمة﴿ سُبْحَانَ رَبِّى﴾ التي تستعمل في التعجب كما تقدم في طالع هذه السورة، ثم بالاستفهام

الإنكاري، وصيغة الحصر المقتضية قصر نفسه على البشرية والرسالة قصرا إضافيا، أي: لست ربا متصرفا أخلق ما يطلب مني، فكيف آتي بالله والملائكة وكيف أخلق في الأرض ما لم يخلق فيها؟ (ابن عاشور، ١٩٨٤، ١٥/ ٢١١) .

المبحث الثالث: ادعاؤهم إبطال معجزة القرآن .

المطلب الأول: ادعاؤهم الإتيان بمثله .

قال تعالى﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال: ٣١) . اختلف المفسرون في هذه الآية من سورة الأنفال والآيات بعدها، أهي مكية أم مدنية ؟ فذكر الرازي وأبو حيان وغيرهم عن قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء، أن سورة الأنفال مدنية بدرية، وعن ابن عباس قال: هي مدنية إلا سبع آيات، من قوله تعالى﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ (الأنفال: ٣٠) إلى آخر السبع آيات (الرازي، ١٥/ ٤٤٧، وأبو حيان، ٢٠٠٠، ٥/ ٣٠٩)، وقال ابن عادل: « قيل فإنها نزلت بمكة، والأصح أنها نزلت بالمدينة، وإن كانت الواقعة بمكة «(ابن عادل، ١٩٩٨، ٩/ ٤٤٣) . وقال محمد الطنطاوي بعدما ذكر خلاف المفسرين في ذلك: « والذي ترتاح إليه النفس أن سورة الأنفال جميعها مدنية، وأن ما في بعض آياتها من أوصاف لأحوال المشركين في مكة قبل الهجرة، لا يعنى كون هذه الآيات مكية ؛ لأن هذه الآيات إنما هي من باب تذكير الرسول وأصحابه بما كان عليه أولئك القوم من عناد ومكابرة وانحراف عن الطريق القويم، أدى بهم إلى الهزيمة في بدر وفي غيرها من المعارك التي كان النصر فيها للمؤمنين «. (طنطاوي، ١٩٩٨، ٦/ ٨) .

وقيل إن قائل هذا القول﴿ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، هو النضر بن الحارث كما قد نص على ذلك سعيد بن جبير، والسدي، وابن جريج وغيرهم، واتبعه قائلون كثيرون . وكان من مردة قريش سافر إلى فارس والحيرة وسمع من قصص الرهبان والأناجيل وأخبار رستم واسفنديار، ويرى اليهود والنصارى يركعون ويسجدون، ولما قدم وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله، وهو يتلو على الناس القرآن، فكان إذا قام صلى الله عليه وسلم من مجلس، جلس فيه النضر فيحدثهم من أخبار أولئك، ثم يقول: بالله أيهما أحسن قصصا ؟ أنا أو محمد ؟

وقال الفخر: اشترى النضر من الحيرة أحاديث كليلة ودمنة، وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين وهو منهم فيقرأ عليهم أساطير الأولين (الرازي ١٤٢٠، ١٥ / ٤٧٨، وابن كثير، ١٩٩٩، ٤/ ٤٦)،

فإسناد قول النضر بن الحارث إلى جماعة من المشركين ؛ لأنهم كانوا يؤيدونه ويحكونه ويحاكونه، ويحسبون فيه معذرة لهم عن العجز الذي تلبسوا به في معارضة القرآن .

وذكر بعض المفسرين كالرازي، وابن كثير، وابن عادل، وغيرهم، تحقيقا عن أن الله تعالى تحدى العرب بمعارضته فلم يأتوا بها، وهذا الآية تدل على أنه أتي بالمعارضة .

أحدهما: إن قوله﴿ لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ إيهام منهم أنهم ترفعوا عن معارضته وصرف عن الحقيقة، بأنهم لو شاءوا لنقلوا من هذه الأساطير من قصص الأولين إلى العربية ما يوازي قصص القرآن، وهذا تعنت ومعاندة منهم عن الإيمان والتصديق، وإلا فما منعهم أن يشاؤوا معارضة من تحداهم وقرعهم بالعجز بقوله﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ (البقرة :٢٤) . (ابن عاشور، ١٩٨٤، ٩/ ٣٣٠)

الثاني: إن قوله﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ﴾. (الأنفال: ٣٢) حكاه الله عن كلام الكفار، وهو ما يشبه نظم القرآن، وقد حصلت المعارضة أيضا ؛ لأن كفار قريش يعترفون بوجود الإله، وقدرته، وسمعوا بالتهديد الكثير في نزول العذاب، فلو كان القرآن معجزا لعرفوا كونه معجزا ؛ لأنهم أرباب الفصاحة والبلاغة، ولما أقدموا على قوله﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (الأنفال: ٣٢) ؛ لأن الشاك لا يتجاسر على مثل هذه المبالغة .

وجواب الأول: قوله﴿ لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ أن كلمة﴿ لَوۡ﴾ تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره، يدل على أنه ما شاء ذلك القول، وما قالوا ؛ فثبت أن النضر بن الحارث أقر أنه ما أتى بالمعارضة، وإنما المقصود يحصل لو أتى بالمعارضة . قال صاحب الكشاف:﴿ لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة، فإنهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة، وإلا فما منعهم إن كانوا مستطيعين أن يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه، مع فرط أنفتهم، واستنكافهم أن يغلبوا في باب البيان خاصة، وأن يباتنهم واحد، فيتعللوا بامتناع المشيئة « (الزمخشري، ١٩٨٧، ٢/ ٢١٦) .

والجواب الثاني: أن الإتيان بهذا القدر من الكلام لا يكفي في حصول المعارضة ؛ لأن هذا القدر من الكلام قليل لا يظهر فيه وجوه الفصاحة والبلاغة . فهب أنه لم يظهر لهم الوجه في كون القرآن معجزا إلا أنه لما كان معجزا في نفسه، فسواء عرفوا ذلك الوجه أو لم يعرفوا فإنه لا يتفاوت الحال. (الرازي،

١٤٢٠، ١٥ / ٤٧٩) . فالقرآن الكريم معجزة عظيمة تحدى الله بها الأولين والآخرين، حيث دعاهم للإتيان بمثله إذ زعموا أن القرآن من كلامه، بقوله﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ (الطور: ٣٣، ٣٤) فعجزوا أن يأتوا بمثله، وتحداهم القرآن أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات من عندهم، فقال تعالى﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(هود: ١٣)، فلما عجزوا عن الإتيان بعشر سور تحداهم القرآن بإنسهم وجنهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣).

نعم عجز كفار قريش عن أن يأتوا بمثل هذا القران مع إنهم أهل شعر وفصاحة وكانوا يتباهون بذلك، لو فعلوا ذلك لكان اشتهر بين العرب من أقصى الشام إلى أقصى اليمن . كيف لم يحفظ الناس تلك المحاولة ! وحفظوا شعرا كثيرا من الجاهلية، إذا ما قورن بكتاب الله العظيم .

لقد بلغ تحدي القرآن لهم غايته حين يخبر القرآن أن عجزهم عن الإتيان بمثله عجز دائم لا انقطاع له، إذ يقول تعالى﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ (البقرة :٢٤) . قال القرطبي: « قوله﴿ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ إثارةٌ لهِمَمِهم، وتحريكٌ لنفوسهم ؛ ليكونَ عجزُهم بعد ذلك أبدع، وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآنُ قبل وقوعِها (القرطبي، ١٩٦٤، ١/ ٢٣٤) . وأراد ابن المقفع وهو الأديب معارضة القرآن عجز، وقال: أشهد أن هذا لا يُعارَض، وما هو من كلام البشر. وصنع مثله يحيى الغزال بليغُ الأندلس وفصيحُها.

ومقولة الوليدُ بنُ المغيرةِ سيدُ قريش المشهورة: والله إنَّ لقولِه الذي يقولُ لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مغدِقٌ أسفلُه، وإنه ليعلو وما يُعلى، وإنه ليَحطِم ما تحته . هو اعتراف منه على فصاحة القرآن وعجزهم عن الوصول لبلاغته .

المطلب الثاني: ادعائهم أنه أساطير الأولين .

ادعى المشركون أن القرآن الكريم هو كأساطير الأولين . أي: كقصصهم وخرافاتهم القديمة، وقد تكرر هذا الادعاء كثيرا وذكره القرآن الكريم في أكثر من آية﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (النحل: ٢٤)، قال الرازي: اعلم أنه تعالى لما قرر دلائل التوحيد، وأبطل مذاهب عبدة الأصنام، ذكر بعد ذلك شبهات منكري النبوة مع الجواب عنها.

فالشبهة الأولى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما احتج على صحة بعثته بكون القرآن معجزة، طعنوا فيه، وقالوا: إنه أساطير الأولين، واختلفوا في هذا القول . فقيل: هو كلام بعضهم لبعض . وقيل: قول المسلمين لهم . وقيل: قول المقتسمين الذين اقتسموا مكة ومداخل مكة ؛ ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل الله على رسوله . (الرازي، ١٤٢٠، ٢٠/١٩٦) . وأن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم قد نسخها منهم من قصصهم ودوّنها في كتابه . قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ (الفرقان: ٥) . فيجب علينا أن نعلم أن تكرار كفار قريش لهذه العبارة لم يكن نقاشا جادا، ولم تكن رغبة صادقة منهم في معرفة الحقيقة أو الوصول إليها، إنما كان مجرد محاولات للتكذيب، وصرف القلوب والأسماع عن القرآن الكريم الذي أعجزهم ووقفوا حائرين أمام بلاغته﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾(فصلت: ٢٦) .

فإن كانوا جادين في تهمتهم هذه، وعندهم من العلم ليثبتوا أن القرآن مأخوذ من هذه الأساطير فيقال لهم: بأن القرآن قد تحدى البشر جميعا أن تأتوا بشيء من مثله ؛ فهلا أخذتم من هذه الأساطير كما أخذ، وأتيتم بقرآن مثله، إن كنتم صادقين في زعمكم !؟ فما الذي منعكم وأقعدهم عن الإتيان بسورة من مثل سور القرآن، كما تحداهم الله بقوله﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾(البقرة: ٢٣) . وهنا يقال لمن يزعم في هذا المصدر أو ذاك، أنه الأساس الذي بنى عليه القرآن أخباره: « إذا كان هذا المصدر صالحا بالفعل للأخذ عنه، ألم يكن طبيعيا وفي متناول معارضيه أن يلجأوا إليه ويحطموا به طموح محمد صلى الله عليه وسلم» ؟ (دراز، ٢٠٠٣، ١٤٤) .

ورد القرآن الكريم على هذا الادعاء بقولهم:﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ :

١ – فقد تحدى الله المشركين أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة واحدة، فعجزوا عن ذلك، مما يدل على إعجازه وأنه ليس من كلام البشر وقد مر علينا ذكر بعض الآيات التي تحدى بها القرآن للمشركين .

٢– إن في هذا القرآن الكريم تأكيد على وحدانية الله تعالى وألوهيته، وأنه لا شريك له، وهذا يتناقض مع ما يذكر في قصص الأولين التي غالبًا ما تتضمن آلهة وأربابًا متعددين .

٣– وأثبت القرآن الكريم أنه كلام الله من خلال الإخبار عن الغيب، وذكر وبيان للأحكام الشرعية،

القصص للعبر، وتقديم كل ذلك مع المعجزات والبراهين . . قال ابن عاشور: إبطال لقول الذين كفروا: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (النمل: ٦٨) فإن القرآن وحي من عند الله إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فكل ما فيه فهو من آثار علم الله تعالى، فإذا أراد الله تعليم المسلمين شيئا مما يشتمل عليه القرآن فهو العلم الحق، ومن ذلك ما اشتمل عليه القرآن من تحقيق أمور الشرائع الماضية والأمم الغابرة مما خبطت فيه كتب بني إسرائيل خبطا من جراء ما طرأ على كتبهم من التشتت والتلاشي وسوء النقل من لغة إلى لغة في عصور انحطاط الأمة الإسرائيلية (ابن عاشور، ١٩٨٤، ٢٠/ ٣٠).

٤- وعنما ادعى المشركون فقالو﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الفرقان: ٥)، رد الله تعالى عليهم بقوله﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الفرقان: ٥) مما يدل على أن القرآن الكريم ليس من تأليف البشر، بل هو من كلام الله

٦- وبعد هذا جاء التحذير من الكفر فهدد الله تعالى الذين يكفرون بآياته وينكرونها، ويقولون بأنه أساطير الأولين، وتوعدهم بالعذاب الشديد قال تعالى﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾.(المطففين: ١٥-١٧) .

المبحث الرابع: الدوافع النفسية لإنكارهم نبوته عليه الصلاة والسلام .

المطلب الأول: العناد والمجادلة بالباطل .

شهد العصر المكي جدلاً عقدياً كبيرا حول الأسس الإسلامية العقدية، كتوحيد الله سبحانه وتعالى بسبب العناد والمجادلة بالباطل . حيث واجهت الدعوة الإسلامية معارضة شديدة من كفار قريش التي كانت تعبد الأصنام وتعتبرها تشفع لها عند الله . ثم الرسالة والنبوة، فأنكرت قريش نبوة محمد صلى الله عليه وسلم - وهو موضع بحثنا - وأصرت على إنه مجرد ساحر أو كاهن، مُشككة في صدقه وأصل رسالته . كذلك البعث والنشور، فرفضت قريش فكرة البعث والنشور وما يلحق بهما من والحساب والجزاء، واعتبرتها خرافات وأساطير. ورفضت قريش هذه الأسس . من أجل ذلك واجه النبي صلى الله عليه وسلم معارضة شديدة من كفار قريش الذين تمسكوا بعقائدهم الوثنية المبنية على عبادة الأصنام، حيث كانت الأصنام جزءاً لا يتجزأ من حياة قريش الدينية والاجتماعية. فخافت قريش من فقدان مكانتها الدينية، ومصالحها والاقتصادية، والاجتماعية في مكة المرتبطة بالكعبة، وسيطرتها عليها. فكان هناك جهل كبير بالحقائق الإلهية، مما أدى إلى صعوبة فهم الدعوة الإسلامية، وبروز الجدل الديني حولها

.

أهمية الجدل العقدي:

على الرغم من إن العناد والجدل شكل عبئا على الدعوة الإسلامية ؛ لأنه تشكل حول أصول العقيدة والرسالة، إلا إن هذا الجدل واعتراضات قريش أدى إلى:

أولا: تأصيل عقيدة التوحيد . حيث ساهم الجدل في توضيح أسس العقيدة الإسلامية للناس، ودحض التصورات الجاهلية حول الألوهية.، وتفنيد الشبهات التي أثيرت حولها. ومن ثم بيان مفهوم البعث والرد عليه قال تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس: ٧٩).

ثانيا: استخدام الأسلوب الجدلي العقلي . كطرح الأسئلة العكسية كقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ (الطور: ٣٥) . وإدخال القصص القرآني كوسيلة إقناعية . كقصة نوح ويوسف وموسى عليهم السلام، من خلال استغلال قوتها في التأثير على عواطف الناس وعقولهم، وتوضيح الدروس والعبر المستفادة منها، لربطها بالواقع . لتعزيز فهم الدين وتعميق الإيمان، وتقديم المواعظ بطريقة مشوقة ومؤثرة . فكل قصة من قصص القرآن الكريم تحمل في طياتها عبرة أو أكثر، تتعلق بأخلاق الأنبياء عليهم السلام والصالحين، أو عواقب الكافرين والمكذبين . وتقديم نماذج إيجابية للناس من خلالهم، في الصبر والإخلاص والتوكل على الله تعالى .

ثالثا: . ساهم في تعميق مفهوم النبوة ومهام النبي والرد على اعتراضاتهم حول بشرية النبي﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ (الكهف: ١١٠) . فمهمة النبي هي البلاغ، وليس إتيان المعجزات حسب أهوائهم . وتحويل مطالبتهم بالمعجزات الحسية إلى معجزة عقلية وهي القرآن الكريم .

رابعا: لم يكن الجدل رفض عابر للدعوة وإنما كان المحرك الرئيس لصياغة العقدية، حيث حول القرآن الكريم هذا الجدل والاعتراضات إلى أطر فكرية ومنهجية، وقد استمر تأثير هذا الجدل في الحوارات مع اليهود والنصارى فيما بعد، فمهد الجدل العقدي الطريق لتمييز المؤمنين الصادقين من المنافقين، وتأسيس مجتمع إسلامي قوي في المدينة المنورة . بل وحتى في النقاشات المعاصرة حول الإسلام .

المطلب الثاني: التقليد .

كانت قريش متمسكة بعادات وتقاليد آبائها وأجدادها، دون التفكير في صحتها. وهي من أسباب الصرف عن الحق، وكان الكفار يعرضون، ويذكرون في سبب الإعراض هذا، ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم

مُّقۡتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣) وقولوهم: ﴿ عَلَىٰٓ أُمَّةٖ ﴾، أي: على طريقة . قال صاحب الكشاف: « فالأمة: الطريقة التي تؤم، أي: تقصد، كالرحلة للمرحول إليه» (الزمخشري، ١٩٨٧، ٤/ ٢٤٥). وقال الرازي: « لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآيات لكفت في إبطال القول بالتقليد وذلك ؛ لأنه تعالى بين أن هؤلاء الكفار لم يتمسكوا في إثبات ما ذهبوا إليه، لا بطريق عقلي ولا بدليل نقلي، ثم بين أنهم إنما ذهبوا إليه بمجرد تقليد الآباء والأسلاف، وإنما ذكر تعالى هذه المعاني في معرض الذم والتهجين، وذلك يدل على أن القول بالتقليد باطل « (الرازي، ١٤٢٠، ٢٧/ ٦٢٧) .

ويعتبر التقليد الأعمى للآباء والأسلاف من أبرز الدوافع النفسية التي دفعت مشركي قريش إلى اعتراض دعوة النبي محمد ﷺ، وهو أمر تكرر في كثير من الآيات التي كشفت مواقفهم وسلوكهم العقلي والنفسي تجاه الوحي الجديد. ومما يظهر إصرارهم على التقليد الأعمى هو الجمود الفكري والرفض غير المبرر لكل ما يخالف الموروث القديم، دون النظر في حقيقته أو التفكر في صحته، قال تعالى﴿ * قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾) الزخرف: ٢٤)، هذا الاحتجاج بتقليدهم لآبائهم الضالين وصدّهم عن الحق، تعصبٌ محضٌ: ﴿ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ﴾ أيها القوم: لو جئتكم من عند ربكم بأهدى لكم إلى طريق الحق، وأدل لكم على سبيل الرشاد ﴿ مِمَّا وَجَدتُّمۡ﴾ أنتم عليه آباءكم من الدين والملة . هل تتبعوني ؟ كان الجواب ﴿ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ .

وقد كان هذا دافعًا قويًا لدى قريش لرفض دعوة التوحيد، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ (البقرة: ١٧٠) فهم يصرحون بأنهم لا يتبعون الحق لذاته، إذ رأوا في اتباع محمد ﷺ مخالفةً لما وجدوا عليه آباءهم، بل يتبعون آباءهم، بغض النظر عن كونهم على هدى أو ضلال . ذكر ابن القيم ثلاثة أنواع من التقليد الذي اعتبره محرم فقال: « أحدها: الإعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء . الثاني: تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله . الثالث: التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد، والفرق بين هذا وبين النوع الأول أن الأول قلد قبل تمكنه من العلم والحجة، وهذا قلد بعد ظهور الحجة له ؛ فهو أولى بالذم ومعصية الله ورسوله « (ابن القيم، ١٩٩٠، ٢/ ١٢٩). فنبة الله تعالى على خطورة هذا التقليد الأعمى، حيث يُتبع فيه الجهل والضلال بلا تمييز. بقوله:﴿ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾(البقرة: ١٧٠) . فهذه الآية تصف نفسيتهم الرافضة للحق لمجرد

أنه يخالف تقاليدهم، فهم لم يعرضوا أدلة أو ناقشوا مناقشة عقلية، بل تمسكوا بما ورثوه عن آبائهم. ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ)ص: 6)، أي: هذه المعروفة، وكان عذرهم﴿ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴾)ص: 7) .

وهذا العناد ولإصرار على التقليد، إن قريش كانت تنظر إلى نفسها كحاملة لإرث ديني وثقافي كعبادة الأصنام، السدانة، السيادة في مكة، وإن ظهور دعوة تخالف هذه التقاليد، كان بمثابة تهديد نفسي وتهديد لهويتم التي يعتزون ويعتدون بها . لذلك استخدموا أسلوب الإنكار للدعوة المحمدية بناءً على العاطفة والعصبية القبلية، لا على الدليل والبرهان . فهو لم يكن مجرد سلوك اجتماعي عند قريش، بل كان دافعًا نفسيًا عميقًا لرفض دعوة النبي ﷺ، جعلهم يقدّسون الموروث، ويرفضون التفكر.

المطلب الثالث: السخرية والاستهزاء.

السخرية والاستهزاء تعد من الدوافع النفسية البارزة التي دفعت كفار قريش إلى إنكار نبوة النبي محمد ﷺ، ومن شدّة كرههم للرسول صلى الله عليه وسلم كانوا لا يُنادونه باسمه، وإنّما ينادونه بـ(مُذمَّم) حاشاه عليه الصلاة والسلام، وقد أرادوا الاستهزاء بوصفه فأنطقهم الله بالحق فيه صرفا لألسنتهم عن الشتم . وهذا كما كانوا إذا شتموا النبيء صلى الله عليه وسلم أو هجوه يدعونه مذمما(ابن عاشور، ١٩٨٤، ١٤/١٦) . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ). (البخاري، ٢٠١٢، ١٢٩٩) .

ومن الأساليب التي استخدمها الكفار إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم اتهامه بالجنون، وتحريك الرأي العام من حوله، وتشكيك الناس برسالته قال تعالى﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ﴾ (الحجر: ٦)، أي: في دعائك إيانا إلى اتباعك وترك ما وجدنا عليه آباءنا، وأخبرت عن عنادهم وكفرهم، وكان الاستهزاء ظاهره المدح. حيث إقرار قريشٍ بوصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بأن الذكر قد نزل عليه – رغم عدم إيمانهم برسالته – فجاء هذا الوصف من باب الاستهزاء والتهكم، لا من باب المدح والثناء والإيمان برسالته . وإلا فكيف يقرون له بالنبوة ثم يقولون له﴿ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ﴾ ، (ابن كثير . ٤/٥٢٧)، وهذه وقاحة ظاهره منهم، وهذا استهزاء بأسلوب إطلاق المدح بقصد الاستهزاء لا المدح . ولم يكتفوا بمجرد هذا الوصف الاستهزائي، وإنما أكدوا وصفه

بالجنون بحرف التوكيد (إن)، والحرف الثاني: بحرف (اللام) ؛ فقالو﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (الصابوني، ١٩٩٧، ٨/ ٩٢) .

وكانت سخريته واستهزاءهم بالرسول أداة يستخدمها كفار قريش للتقليل من شأن النبي ﷺ وأتباعه، وللتقليل من القوّة المعنويّة للمسلمين، وتفتيت عضدهم، وفتنتهم عن دينهم ؛ ومحاولة إحباطهم . فرمَوا الرسول الكريم بأقبح التُّهَم، حتى أثّر ذلك في نفسه الكريمة، فقال الله تعالى مُواسياً ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (الحجر: ٩٧) وأمره بعد الاكتراث بكلامهم والإكثار من التسبيح، والمحافظة على عبادته ؛ حتى يذهب هذا الضيق عنه، فلن يتركه، ولن يخذله سبحانه وتعالى﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ (الحجر: ٩٨، ٩٩) .

وقد وصف الله تعالى هذا المستوى المُتدنّي الذي وصل إليه المشركون في القرآن الكريم ؛ بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴾ (المطففين: ٢٩-٣٣)، فعدّ الله سبحانه وتعالى سخرية المشركين، واستهزائهم بالرسول ودعوته من الجُرم في حقّ الدين ؛ إذ تجاوزت معصيتهم الشركَ بالله إلى جريمة الاستهزاء بالمسلمين، وأسلوبًا استخدمته قريش لإظهار عدم الاكتراث بالدعوة، والتشكيك في صدقه، بل وحتى تخويف من قد يفكر في الإيمان به .

وهذا السلوك ينبع من حالة الرفض المسمى بـ (الرفض الدفاعي) ؛ لأن السخرية هنا تمثل وسيلة للتقليل من الخطر الذي مثّله الإسلام على النظام الاجتماعي والديني القائم هناك . ومن الناحية النفسية، فالإنسان عندما يعجز عن مجاراة الحجة، أو التغيير الجذري، قد يلجأ إلى آليات دفاعية أخرى منها الاستهزاء والتهوين، كوسيلة لتثبيت قناعاته، ولمنع الآخرين من الاقتناع بالحق.(السرجاني، ١٤٣٢، ٦ / ٩-١٠) .

وقد بيّن القرآن الكريم هذا الدافع في مواضع عدة، بقوله تعالى في كتابه الكريم :
﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٩، ١١٠)، فقالوا ذلك استهزاءًا برسالة التوحيد . وقوله تعالى﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ

ٱلۡمَنُونِ﴾ (الطور: ٣٠)، قالوه تهكما بتوصيف النبي بأنه مجنون أو شاعر أو كاهن، فأخبر الله تعالى بأن يرد عليهم قولهم بقوله﴿ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ﴾ (الطور: ٣١)، مما يكشف عن الجانب النفسي العدائي الذي مارسه المشركون كردة فعل على التحدي الذي مثّله النبي ﷺ لدينهم ومكانتهم الاجتماعية .

وتأتي هذه السخرية من الاستعلاء الطبقي والاجتماعي، حيث إن كبار قريش رءوا أن النبي ﷺ مجرد يتيم فقير، لا يليق به أن يكون رسولًا، بل طالبوه بأن يكون الرسول من عظيم من إحدى القريتين مثلا، كما في قوله تعالى﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ﴾ (الزخرف: ٣١) .

الخاتمة

من خلال هذا البحث يتبين أن اعتراضات المشركين على نبوة محمد ﷺ لم تكن قائمة على دليل علمي، بل كانت قائمة على العناد والجدل . وأن القرآن الكريم قد تعامل مع هذه الاعتراضات بمنهجية متكاملة، ومرونة عالية في الرد بأساليب شتى، تجمع بين الحجة، والعبرة، والرحمة، والردع . حيث رد على شبهاتهم بطريقة عقلية وواقعية تتناسب مع طبيعة الاعتراضات والمستوى الفكري للمعترضين، وجمع بين إثبات الحق ودحض الباطل، وبيان الدوافع النفسية الكامنة وراء هذه الاعتراضات . لقد كانت ردود القرآن حاسمة وشاملة، تاركة للمعترضين فرصة للتفكير والتدبر، وفي نفس الوقت محققة للحق وداحضة للباطل. لقد شكلت المواجهة بين النبي صلى الله عليه وسلم وقريش، محورًا رئيسيًا في المرحلة المكية من الدعوة، لا يزال يُشكّل قاعدة قوية في فن الرد على الشبهات العقدية إلى يومنا هذا . وتجلت هذه المواجهة في عدة محاور رئيسية: موقف قريش من النبوة العدائي والرافض للنبوة حيث رأوا في الدعوة الإسلامية تهديدًا لمصالحهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وإنكارهم لاختصاصه بالنبوة كونه بشرًا . وادعاؤهم استطاعتهم إبطال معجزة القرآن .

لذلك فإن دراسة هذه الردود القرآنية ليست مجرد استعادة لأحداث تاريخية، بل هي منهج ثابت ودائم يمكن الاستفادة منه في مواجهة الشبهات المعاصرة حول الإسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

المصادر

١. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر . (ت ٧٩٤ هـ) . (١٩٩٤) . البحر المحيط . ط١ . دار الكتبي .

٢. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزية . (ت ٧٥١هـ) . (١٩٩١) . إعلام الموقعين عن رب العالمين . ط١ . دار الكتب العلمية . بيروت .

٣. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي . (ت: ٤٥٦ هـ) . (١٩٦٢) . جمهرة أنساب العرب . ط٢ . دار المعارف . مصر .

٤. ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي . (ت: ٨٨٠ هـ) . (١٩٩٨) . اللباب في علوم الكتاب . ط١ . دار الكتب العلمية . بيروت .

٥. ابن عاشور، محمد الطاهر . (١٩٨٤) . التحرير والتنوير . الدار التونسية . تونس .

٦. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكرياء القزويني الرازي . (ت: ٣٩٥هـ) .(١٩٨٦) . مجمل اللغة . ط٢ . مؤسسة الرسالة . بيروت .

٧. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ) . (١٩٩٩) . تفسير القرآن العظيم . ط٢ . دار طيبة . الرياض .

٨. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على جمال الدين الأنصاري . (ت: ٧١١هـ) . (١٤١٤) . لسان العرب . ط٣ . دار صادر . بيروت .

٩. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي . (ت: ٧٤٥ هـ) . (٢٠٠٠) . البحر المحيط . دار الفكر. بيروت .

١٠. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم . (ت: ٢٥٦ هـ) . (٢٠١٢) صحيح البخاري . ط١ . دار التأصيل . القاهرة .

١١. برو، توفيق برو . (٢٠٠١) . تاريخ العرب القديم . ط٢ . دار الفكر. بيروت .

١٢. البَلاَذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود . (ت: ٢٧٩ هـ) . (١٩٩٦) . جمل من أنساب الأشراف. ط١ . دار الفكر. بيروت .

١٣. الجويني، إمام الحرمين عيسى البابي . (ت: ٤٧٨ه) . (١٩٧٩) . حق الكفاية في الجدل . القاهرة.

١٤. دراز، محمد عبد الله . (٢٠٠٣) . مدخل إلى القرآن الكريم . ط ٥ . دار القلم . الكويت .

١٥. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي . (ت: ٦٠٦هـ) (١٤٢٠) . التفسير الكبير . ط ٣ . إحياء التراث العربي . بيروت .

١٦. الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد . (ت: ٥٣٨ ه) . (١٩٨٧) . الكشاف . ط٣ . دار الريان للتراث . القاهرة .

١٧. السرجاني، راغب الحنفي راغب . (١٤٣٢) . السيرة النبوية .

١٨. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني . (ت: ١٢٥٠هـ) . (١٤١٤) . فتح القدير . ط١ . دار ابن كثير . دمشق .

١٩. الصابوني، محمد علي الصابوني . (١٩٩٧) . صفوة التفاسير. ط١ . دار الصابوني . القاهرة .

٢٠. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير . (ت: ٣١٠ هـ) . (٢٠٠١) . تفسير الطبري . ط١ . دار هجر . القاهرة .

٢١. طنطاوي، محمد سيد طنطاوي . (١٩٩٨) . التفسير الوسيط . ط١ . دار نهضة مصر . الفجالة . القاهرة .

٢٢. الطوفي. نجم الدين الحنبلي . (ت: ٧٣٥ه) . (١٩٨٧) . علم الجدل في علم الجدل . فرانز. شتاينر. فيسبادن .

٢٣. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري . (١٩٦٤) . الجامع لأحكام القرآن . ط٢ . دار الكتب المصرية . القاهرة .

:References

1 - Al-Zarkashi, Abu Abdullah Badr al-Din Muhammad ibn Abdullah ibn Bahadur. (d. 794 AH) (1994). Al-Bahr Al-Muheet, 1st ed. Dar Al-Kutub.

2- Ibn Al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub ibn Sa'd Shams al-Din Al-Jawziyyah. (d. 751 AH) (1991). I'lam Al-Muwaqqi'in 'an Rabb Al-'Alamin, 1st ed. Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, Beirut.

3- Ibn Hazm, Abu Muhammad Ali ibn Ahmad ibn Sa'id Al-Andalusi. (d. 456 AH) (1962). Jamharat Ansab Al-'Arab, 2nd ed. Dar Al-Ma'arif, Egypt.

4- Ibn 'Adil, Abu Hafs 'Umar ibn 'Ali Al-Dimashqi. (d. 880 AH) (1998). Al-Lubab fi 'Uloom Al-Kitab, 1st ed. Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, Beirut.

5- Ibn 'Ashur, Muhammad Al-Tahir. (1984). Al-Tahrir wa Al-Tanwir. Al-Dar Al-Tunisiyyah, Tunisia.

6- Ibn Faris, Abu Al-Husayn Ahmad ibn Zakariya Al-Qazwini Al-Razi. (d. 395 AH) (1986). Mujmal Al-Lughah, 2nd ed. Mu'assasat Al-Risalah, Beirut.

7- Ibn Kathir, Abu Al-Fida' Isma'il ibn 'Umar Al-Qurashi Al-Dimashqi. (d. 774 AH)

(1999). Tafsir Al-Qur'an Al-'Azim, 2nd ed. Dar Tayyibah, Riyadh.

8- Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram ibn 'Ali Jamal al-Din Al-Ansari. (d. 711 AH) (1414 AH). Lisan Al-'Arab, 3rd ed. Dar Sadir, Beirut.

9- Abu Hayyan, Muhammad ibn Yusuf Al-Andalusi. (d. 745 AH) (2000). Al-Bahr Al-Muheet. Dar Al-Fikr, Beirut.

10- Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad ibn Isma'il ibn Ibrahim. (d. 256 AH) (2012). Sahih Al-Bukhari, 1st ed. Dar Al-Ta'sil, Cairo.

11- Buro, Tawfiq Buro. (2001). Tarikh Al-'Arab Al-Qadim, 2nd ed. Dar Al-Fikr, Beirut.

12- Al-Baladhuri, Ahmad ibn Yahya ibn Jabir ibn Dawud. (d. 279 AH) (1996). Jumal min Ansab Al-Ashraf, 1st ed. Dar Al-Fikr, Beirut.

13- Al-Juwayni, Imam Al-Haramayn 'Isa Al-Babi. (d. 478 AH) (1979). Haq Al-Kifayah fi Al-Jadal. Cairo.

14- Daraz, Muhammad Abdullah. (2003). Madkhal ila Al-Qur'an Al-Karim, 5th ed. Dar Al-Qalam, Kuwait.

15- Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad ibn 'Umar ibn Al-Hasan ibn Al-Husayn Al-Taymi. (d. 606 AH) (1420 AH). Al-Tafsir Al-Kabir, 3rd ed. Ihya' Al-Turath Al-'Arabi, Beirut.

16- Al-Zamakhshari, Mahmoud ibn 'Umar ibn Ahmad. (d. 538 AH) (1987). Al-Kashshaf, 3rd ed. Dar Al-Rayan li Al-Turath, Cairo.

17- Al-Sarjani, Raghib Al-Hanafi Raghib. (1432 AH). Al-Sirah Al-Nabawiyyah.

18- Al-Shawkani, Muhammad ibn 'Ali ibn Muhammad ibn Abdullah Al-Yamani. (d. 1250 AH) (1414 AH). Fath Al-Qadir, 1st ed. Dar Ibn Kathir, Damascus.

19- Al-Sabuni, Muhammad 'Ali Al-Sabuni. (1997). Safwat Al-Tafasir, 1st ed. Dar Al-Sabuni, Cairo.

20- Al-Tabari, Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir. (d. 310 AH) (2001). Tafsir Al-Tabari, 1st ed. Dar Hajr, Cairo.

21- Tantawi, Muhammad Sayyid Tantawi. (1998). Al-Tafsir Al-Wasit, 1st ed. Dar Nahdat Misr, Al-Faggala, Cairo.

22- Al-Tufi, Najm Al-Din Al-Hanbali. (d. 735 AH) (1987). 'Ilm Al-Jadal fi 'Ilm Al-Jadal. Franz Steiner, Wiesbaden.

23- Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad Al-Ansari. (1964). Al-Jami' li Ahkam Al-Qur'an, 2nd ed. Dar Al-Kutub Al-Misriyyah, Cairo.